# تلقي اللسانيات العرفانية في الدرس البلاغي العربي المعاصر

# Receiving Gnostic Linguistics in the Contemporary Arabic Rhetorical Lesson

**د. هدى بن عزيزة**

جامعة 20 أوت 1955 بسكيكدة-الجزائر، houdameg21@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/12/25 تاريخ القبول: 2023/03/09 تاريخ النشر: 2023/09/12

**ملخص:** تنطلق هذه الدراسة من وصف أهم الدراسات العربية التي حاولت شرح النظرية اللسانية العرفانية الغربية، وعرضها والتعريف بأهم مبادئها، واستثمارها في دراسة البلاغة العربية في سياق تمثل الآخر منهجيا ومعرفيا، قصد بلورة اللحظة الراهنة في الثقافة اللسانية العربية المعاصرة، ناهيك عن مسعى تنموي يهدف إلى حل بعض المشكلات التعليمية المتصلة بفهم ظاهرة اللغة في حياة الإنسان المعاصر.

**كلمات مفتاحية:** النظرية اللسانية العرفانية، اللسانيات العربية، البلاغة العربية، الاستعارة التصورية.

**Abstract :**This study starts from describing the most important Arabic studies that tried to explain the cognitive linguistic theory, presenting it and introducing its most important principles, and investing them in the study of Arabic rhetoric in a context that represents the other methodically and cognitively, in order to crystallize the present moment in Contemporary Arabic linguistic culture, not to mention a development endeavor aimed at solving some educational problems related to understanding the phenomenon of language in contemporary human life.

**Keywords**: cognitive linguistic theory, Arabic linguistics, Arabic rhetoric, conceptual metaphor.

**المؤلف المرسل:** هدى بن عزيزة، **الإيميل:** houdameg21@gmail.com

## 1. مقدمة:

تقوم **"اللسانيات العرفانية"** (**cognitive linguistic**) على دراسة اللغة من حيث طبيعتها ووظيفتها، فهي تيار لساني حديث يرتبط بالدراسة النفسية التي تهتم بعمل الدماغ ومتابعة العمليات العقلية المختلفة التي تتصل بالمعرفة الإنسانية والإدراك بشكل عام[1]. كما يرتبط تاريخيا بمجموعة من الأعمال التي ظهرت ابتداء من منتصف السبعينيات على يد "**روش Rosh**" و"**لايكوف Lakoff**" وغيرهما، وهي أعمال تلتقي، رغم اختلاف منطلقاتها، في مجموعة من الأسس والمبادئ النظرية والمنهجية التي تعتبر الظاهرة اللغوية ظاهرة نفسية ذهنية لا يمكن فهمها إلا في علاقتها بباقي الظواهر الذهنية الأخرى، كما تقر باستقلالية النظام اللغوي، حيث لا يمكن الفصل بين المعرفة اللغوية والتفكير بشكل عام[2].

لقد أحدثت اللسانيات العرفانية، التي يتزعمها **"راي جاكندوف"**[3]، قطيعة مع ما جاء به **"نوام تشومسكي"**[4] في التوليدية التحويلية[5]، بعد أن نشأ وتربى في الجو الفكري السائد للنحو التوليدي والنظرية النموذجية التي كانت تهتم بالنظم، إذ راهن على إحدى خاصيات النظرية التشومسكية (الذهنوية)، التي أسست لما عرف فيما بعد بالنظرية العرفانية، وتخلى عن أهم مبدأ فيها وهي أولوية النظم على المكونات الأخرى.

أما في البلاد العربية، ماتزال اللسانيات العرفانية محتشمة ما عدا بعض الدراسات في المغرب وتونس، وهي دراسات خاصة بالدلالة والاستعارة في الأغلب. إذ يشهد المنهج العرفاني انصراف عدد من الباحثين اللغويين العرب، بل أن منهم من ناصبه العداء، إما جهلاً به أو تجاهلاً له من منطلقات بنيوية أو تراثية على حد سواء.

ويتجلى عسر دراسة المنهج العرفاني في أمور كثيرة منها قلة معارفنا عن الجانب الذهني، تنضاف إلى ذلك حداثة المنهج العرفاني في منشئه الغربي، إذ لم يتجاوز العقود الأربعة، وفي تشتت التلقي العربي له، وعدم التمكن من مفرداته وعدم التنسيق بين

الباحثين المهتمين حتى في ترجمة مفرداته، التي تتفاوت الاجتهادات في شأنها تفاوتاً، وبخاصة في عدم بلوغ التلقي العربي لهذا المنهج مرحلة الإبداع فيه وتأصيله.

## 2. مفهوم اللسانيات العرفانية:

### 1.2 لغة:

**"العرفان"** لغة هو العلم، جاء في لسان العرب "عرف: العرفان: العلم... ورجل عروف وعروفة: عارف يعرف الأمور ولا ينكر أحدا رآه مرة والهاء في عروفة للمبالغة"[6].

ويفرق **"الراغب الأصفهاني"** بين المعرفة والعلم من حيث إن "المعرفة والعرفان: إدراك الشيء بتفكر وتدبر لأثره وهو أخص من العلم ويضاده الإنكار فيقال فلان يعرف الله ولا يقال: يعلم الله"[7].

### 2.2 اصطلاحا:

واصطلاحا اللسانيات العرفانية علم حديث النشأة، أطلق عليه عدة تسميات، ك: العرفنية، والعرفنة، والمعرفية... نشأ عام 1987م في الولايات المتحدة الأمريكية علما لغويا يجمع بين "جملة من العلوم تدرس اشتغال الذهن والذكاء دراسة أساسها تضافر الاختصاصات تساهم فيها الفلسفة وعلم النفس والذكاء الاصطناعي وعلوم الأعصاب (علوم الدماغ) واللسانيات والأنثروبولوجيا. وتدرس العلوم العرفنية الذكاء عامة والذكاء البشري وأرضيته البيولوجية التي تحمله وتعنى كذلك بمنولته وتبحث في تجلياته النفسية واللغوية والأنثروبولوجية"[8]. ويقصد بالكائن الذكي القادر على تقسيم العالم الذي يعيش فيه إلى مجموعات، وبإمكانه استعمال معارفه وفق حاجاته وظروفه بحيث يكون المحيط الذي يعيش فيه مصدر المعلومات التي يشتغل عليها في إنجاز أعماله، واللغة من أحسن الأدوات لتعلم ذلك.

والعلوم العرفانية تضم ثلاثة اختصاصات هي الذكاء الاصطناعي وعلم النفس وعلم الأعصاب، ففي البداية كل علم كان يشتغل لوحده ثم بعد ذلك تقاربت هذه العلوم وأصبحت تسمى بالعلوم العرفانية، إذ تبحث هذه العلوم في الآليات التي يعمل بها الدماغ لتوليد المعرفة واللغة، وهي تستفيد من كل العلوم الأخرى كعلم الأعصاب والتشريح والحاسوب واللسانيات... وما يميز النظريات العرفانية هو منهجها العلمي القائم على المقاربة النفسية والمعرفية في تفسير إنتاج المعنى، أي أن ميدانها هو "الذهن"، لذا تكثر فيها المصطلحات من قبيل: التمثيل الذهني، الفضاء الذهني، الاسقاط، سيرورة المعنى في الذهن أو الدماغ، التصور...

وهذا ما وضحه **"صابر الحباشة"**، محرر كتاب **"دراسات في اللسانيات العرفانية الذهن واللغة والواقع"**[9]، لافتاً إلى الهدف منه وهو تعريف القارئ العربي المهتم ببعض المعارف والمفاهيم وأدوات التحليل التي تستعملها المقاربة العرفانية، إلى تسويغ النظر فيما تطرحه تلك المقاربة على اللغة العربية من إشكاليات التنظير والتطبيق، في المقامات العلمية والتعليمية، مثلما يهدف إلى إزالة التخوف والتوجس من هذه المقاربة وتجاوز الإشكاليات الشكلية (من قبيل الاختلافات الاصطلاحية بين الباحثين العرب: اللسانيات العرفانية، الإدراكية، العرفنة، التعرف، المعرفية... )، لكي نصل إلى ترسيخ القول في هذه المقاربة تمهيداً لبلوغ وضع لبنات إنتاج المعرفة في هذا المجال[10].

وبحسب المحرر، فإن القارئ سيجد في هذا الكتاب فصولاً متكاملة ألفها مجموعة من الباحثين المتخصصين الذين يشتغلون على مشروعات بحثية تعتمد المقاربة العرفانية وتحاول استثمار جوانب منها في دراسة اللغة العربية.

وقد ارتأى أن يتخذ ترتيب الفصول طابعاً منهجيا يبدأ من الذهن ويمر باللغة (نحوا ودلالة) ليصل إلى الواقع في المقام التربوي والمنظور التداولي (وهو منطق ينطلق من المتصور في الأذهان إلى المتحقق في الأعيان). لذا اقترح على القارئ المهتم باقة من البحوث التي حاول فيها مؤلفوها اقتناص مقترحات الاتجاه العرفاني النظرية ورصد آفاقه

التطبيقية. إذ تكاد الدراسات اللسانية منذ بداية القرن العشرين تتفق على اعتماد مستويات (صوتية وصرفية وتركيبية ودلالية، ثم تداولية) في تحليل البيانات اللغوية أصواتاً ووحدات صرفية وتركيبية ودلالية وتداولية. وعلى الرغم من اختلاف المدارس اللسانية في إيلاء فضل عناية بمستوى منها على سائر المستويات، أو في جعل أحد المستويات متحكما في غيره، فإن عموم الدارسين قد ارتضوا أن تعالج اللغة انطلاقاً من هذه المستويات[11]

ولما كان الاتجاه العرفاني (المعرفي، الإدراكي) من الاتجاهات اللسانية، التي ظهرت بعد رسوخ مستويات التحليل المذكورة، فقد اتجه الباحثون العرفانيون إلى استثمار هذا الاتجاه في دراسة تلك المستويات، ووظفوا ما يتيحه من أدوات في معالجة مباحثها، مع تحفظهم على القسمة المذكورة لتلك المستويات اللسانية...

ويضم هذا الكتاب فصولاً تطرقت إلى معالجة الاتجاه العرفاني للجوانب التركيبة والدلالية والتداولية في اللغة والذهن. ويشكل الفصل الأول: البعد الذهني في اللسانيات العرفانية: مدخل مفاهيمي، الذي أنشأه الباحث **"عبد الرحمن محمد طعمة"** تمهيدا يضع سائر الفصول في إطارها، لا سيما أن الدراسات العرفانية الجادة لا تزال قليلة باللسان العربي، فالحاجة لا تزال ماسة للتعريف بهذا الاتجاه في أهم مقارباته وطرائقه ومصطلحاته وأهدافه. كما قدم هذا الفصل مداخل علمية بينية ذات صلة بالنظرية اللسانية العرفانية المعاصرة، وقد وقف الباحث على أطروحة تقرير "سلون" الممثل لبزوغ العلم العرفاني عموماً في حقل فلسفة العلوم الغربية، مثلما عرض بعض مرتكزات بنائية المعجم الذهني، وانتهى الباحث إلى فرضية "وهم المعرفة" التي تمثل – من وجهة نظره- مدخلاً جديداً منفتحاً على علوم أخرى تبحث في الظاهرة اللسانية الإنسانية وتعالقها مع مباحث الكون[12].

أما الفصل الثاني فقد عنيت فيه الباحثة **"عفاف موقو"** بتحليل ملامح من الأبنية الذهنية للفضاء في النحو العربي؛ إذ اقترحت قراءة لإشكالية مقولة الظروف في تراثنا النحو العربي، وذلك اعتماداً على نماذج من المصنفات النحوية القديمة. وأجرت

دراستها على طريقة تمثيل اللغة للفضاء من خلال الكشف عن الأبنية الناشئة عن تعيين الصورة على أساس خلفية مفردة. وانتهت الدراسة إلى الإقرار بأن ظروف المكان عناصر نحوية تؤدي دوراً مركزياً في بنينة المقولة التصورية للفضاء. ومرد ذلك أنها تحدد الأبنية الذهنية الممثلة للفضاء. من خلال الاختيار النظامي لبعض مظاهر مشهد فضائي معين وترشيحاً لمثيل المشهد الفضائي الكلي دون سائر مظاهره المكونة له. مثلما حاولت الدراسة في جانبها التطبيقي الإحاطة بالتمييزات الفضائية الرئيسة الناشئة عن الظروف بما هي عناصر نحوية[13].

واهتم الباحث **"الحبيب المقدميني"** في الفصل الثالث باستعراض الإطار النظري العام للسانيات العرفانية، ثم تطرق إلى أهم المبادئ في دراسة الدلالة وخاصة مفهوم الموسوعية، واهتم بتقديم مقاربة طالمي في الدلالة اللغوية التي سعت إلى تبويب القدرات العرفانية الإدراكية وتنضيدها وفق تصور معين، يسهم إجرائيا في فهم الكثير من الظواهر الدلالية النحوية. مثلما عرض الباحث الخطاطات الذهنية المنبثقة من التجربة الجسدية بوصفها خلفيات تمكننا من فهم الدلالية اللغوية أو غيرها من الأنظمة العلامية[14].

وعالج الباحث **"عمر بن دحمان"** في الفصل الرابع تطبيق المنظور العرفاني في مجالات تتصل بإنتاج الخطاب وتلقيه في المقام التربوي، واهتم بإحدى الآليات والاستراتيجيات الخطابية المعتمدة التي عدت أساسية ومركزية ولا غنى عنها في الفهم والإفهام والتواصل بشكل عام، ألا وهي التفكير التمثيلي أو القياسي في مظاهره المختلفة. وحاول الباحث إبراز أهمية تجلياته في اللغة والخطاب من منظور عرفاني وإسهامه المركزي في عملية بناء المعنى وتأويله في أثناء التواصل، وبخاصة بعد المكانة التي صارت تحظى بها ظاهرة الاستعارة بعد اكتشاف أهميتها ودورها المركزي في الأنشطة البشرية الحياتية اليومية. وقد رصدت، في هذا الإطار، بعض الأبحاث ذات المنطلق اللساني العرفاني الحضور الاستعاري والتمثيلي في المقام التربوي بوصفه من الأنشطة الإنسانية

الخصبة التي تستخدم فيها استراتيجيات تواصلية وإبلاغية يوظفها المعلمون والتربويون من أجل إيصال الفكرة إلى المتعلمين الذين يطلب إليهم التفاعل مع ما يعرض عليهم سواء أكان ذلك داخل الصف أم عبر المناهج والمقررات التعليمية[15].

ونظر الباحث **"صابر الحباشة"** في الفصل الخامس في وجوه التهجين والمزج والتوليد الممكنة بين المنظورين العرفاني والتداولي. فإذا كان المعول عليه في الدراسات العرفانية هو تنشيط العمليات الذهنية في تنشيط الدلالة، فإن الدراسات التداولية "وهي رافد من روافد الاتجاه العرفاني" تركز على أهمية السياق في إنتاج المعنى. إذ تأتي المقاربة الهجينة لتبرز تأثير السياق المهم في بيئاتنا العرفانية، ومن ثم فلا مجال للفصل أو لعزل البيئة الذهنية عن التفاعلات الواقعية، إلا عزلاً أو فصلاً إجرائيين بهدف الدراسة والاختبار، فالأقوال والخطابات تحلل عرفانياً وتداولياً في ضرب من الاسترسال والتراكيب[16].

### 3. البنية التصورية للاستعارة:

من أهم المباحث التي تميز البحث اللساني العرفاني **"البنية التصورية"**، فالعرفانيون يرون أن كل العمليات الذهنية تتم على مستوى البنية التصورية، وهي كل المعارف التي تتم صناعتها في الذهن ولها علاقة بتجارب الإنسان في حياته اليومية هي **"البنية الدلالية"** عند **"جاكندوف"**، وقد تناول مصطلحات من قبيل (الدماغ، الذهن، الدلالة...) ووسع فيه علم الدلالة التصوري وهندسة التوازي، فهو يرى أن المعنى بنية ذهنية في الدماغ، أي أنه تمثيل ذهني يشفر المعلومة المدخلة إلى الدماغ[17].

في البنية التصورية يرى **"لايكوف"** و**"جونسون"** أن هناك نوعين من التصورات، تصورات مباشرة وأخرى غير مباشرة، والأخيرة منبثقة عن الأولى، ولا يمكن أن نستغني عن الاستعارة لفهم مثل هذه التصورات. فالاستعارة من هذا المنظور تعتمد على عمل الذهن والإدراك، لذا يطلق عليها الاستعارة المفهومية أو المفاهيمية، حيث أصبحت تدرس على أنها بنية ذهنية مفهومية عميقة بعد أن كانت الدراسة القديمة للاستعارة

قائمة على البلاغة، كما تدرس في ضوء منهج لساني عرفاني ذو وجهة معرفية نفسية، إذ أسهم هذا المنهج في تجديد الدرس الدلالي[18].

وتعد اللسانيات العرفانية الاستعارة سمة مركزية في اللغة الطبيعية، وتقوم على بنية مجال تصوري معين من خلال مجال تصوري آخر، أو هي "وسيلة لتصور شيء ما من خلال شيء آخر"[19].

أما البلاغيون المحدثون والأسلوبيون الغربيون، قد رفعوا "درجة الاستعارة إلى منزلة أطلقوا عليها صفة **أميرة الوجوه البلاغية**"[20]، مما جعل مفهوم الاستعارة عندهم "يتجاوز... الإطار الذي وضع فيه القدماء الاستعارة من كونها نقل للعبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة"[21]. ولا تفرق الرؤية الغربية بين التشبيه البليغ وبين الاستعارة، بل جعلته استعارة. إذ إنّ نظرة المحدثين لا ترتكز على كون الاستعارة نوع من المجاز، وهذا ما يؤكده **جابر عصفور** حين قال: "من المؤكد أننا - في كل استعارة أصلية - لسنا إزاء طرفين ثابتين متمايزين وإنما إزاء طرفين يتفاعل كل منهما مع الآخر ويعدل منه. إنّ كل طرف من طرفي الاستعارة يفقد شيئا من معناه الأصلي، ويكتسب معنى جديدا نتيجة لتفاعله مع الطرف الآخر داخل سياق الاستعارة، الذي يتفاعل بدوره مع السياق الكامل للعمل الشعري أو الأدبي"[22]. وعلى هذا الأساس يخلص **جابر عصفور** إلى " أننا لسنا إزاء معنى حقيقي ومعنى مجازي هو ترجمة للأول، بل نحن -في الحقيقة- إزاء معنى جديد نابع من تفاعل السياقات القديمة لكل طرف من طرفي الاستعارة داخل السياق الجديد الذي وضعت فيه"[23]، إذ يشير الباحث إلى تدخل السياق في فهم وتشكل الاستعارة. وهنا يكمن الفرق بين المفهوم القديم للاستعارة، والمفهوم الحديث والمعاصر لها.

يبدو أن اهتمام الدارسين القدماء والمحدثين بالاستعارة، أنتج نظريات متنوعة حول الاستعارة وتأويلها، والكثير الكثير من الدراسات التي لا يمكن للدارس الواحد الإلمام بها جميعا. وهذا ليس غريبا؛ لأنّ الاستعارة لم تعد حكرا على الأدب والبلاغة، بل أصبحت

موضوع اهتمام علماء النفس، وعلماء الاجتماع، والأنتربولوجيين، والمناطقة، والسينمائيين، والتشكيليين، ومؤرخي الفلسفة والعلوم الدقيقة[24].

ورغم الانجازات التي حققتها معظم الدراسات التي خاضت في موضوع الاستعارة، التي لم تخرج عن إطار المقدمات الأرسطية، إلا أنّ ثمة ضرورة ملحة تدع لتجاوز النظرية الأرسطية للاستعارة، واقتراح نظريات مغايرة من حيث المنطلقات والأهداف. وهذا تحديدا ما تبنته النظرية التفاعلية للاستعارة، التي ترتكز بشكل أساس على مجموع تفاعلات الإنسان الجسدية والبيئية مع محيطه. كما أنّ الاستعارة، في نظرها، تتضمن كل الممارسات الثقافية والاجتماعية والإيديولوجية للإنسان، والكشف عنها يعدّ كشفا لأعماق الذات الإنسانية باكتساحها جميع مجالات الحياة دون استثناء. فالاستعارة تتواجد في مستوى تفكيرنا، وأعمالنا، وأنشطتنا، وهي لا تقتصر على اللغة؛ لأنّ النسق التصوري العادي الذي يسيّر تفكيرنا وسلوكنا يكون مبنيا جزئيا بواسطة الاستعارة.

ولعل أول من جسد النزعة التجريبية التفاعلية للاستعارة بجلاء، هم أصحاب الدلالة المعرفية، وتحديدا **جورج لايكوف ومارك جونسون** في مؤلفهما المشترك **"الاستعارات التي نحيا بها"**(1980)، الذي أحدثا به قفزة نوعية على الصعيد الفكري، حين أقرا بأننا نحيا بالاستعارة، وأنّ نسقنا التصوري، في جزء كبير منه، استعاري من حيث طبيعته، فالاستعارة لديهما ليست طلاء أسلوبيا، أو زخرفا لغويا، بقدر ما هي ركن جوهري من أركان تفكيرنا، إنها تقترن بالفكر والذهن، كما ترتبط بالعمليات التخزينية التي يقوم بها المتلقي والمستمع، ليخلصا إلى أنّ **الاستعارة ظاهرة ذهنية قبل أن تكون ظاهرة لغوية**[25]. إذ ارتبطت رؤية الاستعارة في أذهاننا بعدها مجال البلاغيين والأدباء دون غيرهم، وبوصفها ظاهرة لغوية يتم فيها استخدام لفظ آخر على أساس التشابه بين طرفيها، غير أن رؤية البلاغة الجديدة جعلت الاستعارة تؤدي دورا تواصليا، فنحن نعيش، ونتواصل، ونحيا، ونتعامل بها يوميا، وإن كنا لا نشعر بذلك. إلا أنّ الاستعارة تعمل على تنظيم معارفنا وسلوكات حياتنا، وتكشف أشكال التفاعل داخل المجتمع، لنفهم من خلالها بنيته ونظامه. ويتلخص الهدف الأساس لهذا التيار في محاولة مقاربة كيفية حصول

المعاني وما يحفزها، وذلك من خلال التركيز على البعد المعرفي عند البشر ودوره في بناء المعاني اللغوية وتأويلها.

إنّ الرؤية المعرفية، التي أشرنا لها من قبل للتشبيه، تقر بأنّ المعرفة واللغة بنيتان وظيفيتان تنزلان منزلة نسقين ذهنيين يتأسسان على التمثيل التفاعلي وآليات الاشتغال التواصلي، كما أنّ المقاربة المعرفية تذهب إلى أن البنيات الاستعارية تمثيلات إبداعية لعلاقات التفاعل العميق بين الأشكال اللسانية والأبعاد التصورية، وتعتبر الاستعارات بتشكيلها اللغوي وتصويرها المعرفي أنساقا معرفية تفاعلية تتعالق ضمنها قوالب متعددة مفتوحة، منها اللساني والمعرفي والذهني. ويمثل النسق الاستعاري عبر مساراته الدلالية وسيروراته الاستدلالية حافزا قويا على إنتاج أوصاف جديدة وإبداع مفاهيم مغايرة وتكوين معرفة متميزة. وتستلزم الأنساق الاستعارية تفعيل مختلف تجليات التصوير الإنساني في أفق تنظيم التفكير وترتيب الإدراكات وتنسيق الممارسات[26].

وبناء على تجسيده المقولي الدلالي وتفاعله التمثيلي المعرفي، يستمد النسق الاستعاري طاقته التعبيرية الدلالية وقوته الوظيفية الإبداعية من الكون التواصلي الذي ينخرط فيه انخراطا ويشتغل ضمنه اشتغالا جليا. وبهذا، يكون التواصل الإبداعي باعتباره سياقا خاصا وفضاء نوعيا شرطا أساسيا في تعيين كيفية الاشتغال التفاعلي للنسق الاستعاري إن على مستوى التأليف البنيوي أو على مستوى التمثيل المعرفي[27].

وعليه، يتقيد النسق الاستعاري في إنجازاته التواصلية المتعددة بجملة من القيود التعبيرية والمبادئ المعرفية التي تتحكم في توليده التصوري واشتغاله التصويري. فكما يستجيب التواصل الإنساني الطبيعي في صيغته العقلانية لمبدأ المعرفة المشتركة بين المتكلم والمتلقي، فإنّ التواصل الإبداعي المجسد في الأنساق الاستعارية يحترم بالمماثلة مبدأ المعرفة الإبداعية الاستعارية المشتركة التي تضمن تحقيق علاقات التفاعل المعرفي بين ملقي البنية الاستعارية ومتلقيها. بالإضافة إلى أنّ الأنساق الاستعارية تحمل في طياتها وحدات دلالية ومعطيات معرفية بمثابة معلومات أساسية في التواصل

الاستعاري[28]. ومن هنا يمكن قراءة الاستعارة بوصفها علامةً لسانيةً كاشفةً عن الدلالة في الخطاب، تتخذ من اللغة وسيلة لبناء علاقات فكرية استعارية، وبوصفها سيرورة سيميائية تكشف عن الوظيفة الإبدالية للعلامة. ومعنى هذا أنّ الاستعارة "تعدُّ أداة لتطوير المفاهيم، ووسيلة لخلق واقع، وليست لتزيين الواقع كما هو الحال في البلاغة القديمة. فالاستعارة؛ صورة ذهنية، يلجأ إليها الفاعل حينما يفتقد خصيصة ما موجودة لدى طرف آخر، ويعمد الفاعل إلى هذا الفعل الاستعاري؛ لإكمال شيء ما يشعر أنه ينقصه، حتى يبدو أمام الآخرين وكأنه يمتلك جميع المقومات التي تؤهله لممارسة دوره الفاعل في الحياة. أما العلامة؛ فهي شيء ما ينوب لشخص ما عن شيء ما من جهة ما وبصفة ما. فهي توجه لشخص ما، بمعنى أنها تخلق في عقل ذلك الشخص علامة معادلة، أو علامة أكثر تطورا"[29].

يبدو أنّ أسس الاهتمام البلاغي تغيرت مع الدراسات التداولية التي قفزت بالدراسات البلاغية قفزة نوعية؛ لأنها خطت إلى أبعد من الجملة متجاوزة الطرح اللساني الضيق الذي يبحث عن المعنى الحرفي، إذ اهتمت بالمعنى المشتق وخاصة المجاز، كما درست الاستعارة في أبعادها التواصلية، أي في سياقها الواقعي، ضمن تشكلاتها وتلقيها، وفي استعمالها ومقاصدها؛ لأنّ " الاستعارة نشاط تداولي أساسا، تلح في تركيبها على حضور متزامن للمتكلم والمخاطب ومقام الكلام حيث من خلال تفاعل ونجاح كل هذه الأطراف يكون المعنى ويتبلور الهدف وتتجلى تمثيلية الاستعارة Allégorisme وشموليتها في أسبقية متعددة للدلالات حسب اتجاه سيرورة التداول. وقد أشار العديد من الباحثين إلى أهمية هذا العنصر (عنصر التداول) في اشتغال الاستعارة ونموها"[30]. كما ركزت التداولية على خروج الاستعارة من الاستعمال الحرفي إلى التوظيف المجازي المليء بالمضمرات[31]، التي تحتاج للسياق اللغوي وغير اللغوي لفهم معناها الثاني المتخفي وراء المعنى الحرفي.

وبالتالي، تهتم التداولية بدراسة الاستعارة من حيث هي نشاط لغوي يحقق التواصل بين البشر، وخاضع لظروف إنتاج الخطاب بصفة عامة، متجاوزة بذلك حدود النظرية الدلالية التي لم تتعد في تفسيرها للآلية الاستعارية شقها الدلالي، أي عدها آلية

لغوية دون الأخذ في الاعتبار النسق العام الذي يحكم الآلية الاستعارية، الخاضع بدوره لشروط تداولية.

## 4. خاتمة:

إن العرفانية هي اتجاه لساني جديد، وهي من العلوم اللغوية التي ارتبطت بالدراسات النفسية، التي تهتم بعمل الدماغ ومتابعة العمليات العقلية التي تتصل بالمعرفة اللسانية الإدراك، وتدرس الذكاء عامة، وتضم عدة اختصاصات هي الذكاء الاصطناعي، وعلم النفس والأعصاب وغيرها، والمعرفة اللغوية عند العرفانية جزء من الإدراك العقلي الذي يميز بين المعلومات اللغوية وغير اللغوية.

## 5. قائمة الإحالات:

[1]- ينظر: إبراهيم النجار، لطيفة: آليات التصنيف اللغوي بين علم اللغة المعرفي والنحو العربي، مجلة جامعة الملك سعود، م17، الآداب(1)، 2004م، ص4.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص4-5.

[3]- "راي جاكندوف": عالم لغة أمريكي، ولد في 23 جانفي 1945 وتتلمذ على يد "تشومسكي" وغيره من كبار علماء اللغة، ثم انتقل إلى دراسة علم النفس والفلسفة والموسيقى، درس في جامعة "توفتس" بالولايات المتحدة الأمريكية حيث أدار بمعية "دانيال دينات" معهد العلوم العرفانية، بعد أن ترك جامعة "برانديس". وعرف باختصاصه في علم الدلالة، كما يعد رائد نظرية علم الدلالة التصوري التي تبناها علماء اللغة، والباحثون في علم النفس، والفلسفة، والرياضيات.
ينظر: جاكندوف، راي: علم الدلالة والعرفانية، ترجمة وتقديم: بنور، عبد الرزاق، مراجعة: كريم، مختار، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، تونس، 2010م، ص5.

[4]- أفرام نوام تشومسكيAvram Noam Chomsky "لساني أمريكي، يهودي الأصل، من مواليد ديسمبر عام 1928 وتلقي دراسته في بنسلفانيا، وهناك درس علم اللغة والرياضيات والفلسفة، وقد حصل فيها على درجة الدكتوراه عام 1955، بالرغم من أنه قام بمعظم أبحاثه اللسانية عقب انتسابه إلى جمعية الرفاق بجامعة "هارفرد"، وكان ذلك في الفترة الممتدة بين 1950 و1955، وبعد ذلك عين بمعهد ماساشوسيتس، وظل يترقى في حياته العلمية، حتى حصل أخيرا على كرسي الأستاذية في لسانيات اللغات الحديثة". ينظر: بوقرة، عثمان: المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، 2003م، ص129.

[5]- ارتبط اللفظان (التوليدية والتحويلية) ارتباطًا وثيقًا، بحيث لا ينفصلان إلّا إذا اقتضت الحاجة إلى ذلك، فالقواعد التوليدية : هي القواعد التي تولد الجمل المقبولة في اللغة، في حين أنها لا تولد جملًا غير مقبولة في اللغة؛ لأن اللغة

على حد تعبير تشومسكي تتكون من "مجموعة متناهية أو غير متناهية من الجمل"، كل جملة طولها محدود ومكونة من مجموعة متناهية من العناصر، وكل اللغات الطبيعية في شكلها المنطوق أو المكتوب تتوافق مع هذا التعريف؛ وذلك لأن كل لغة طبيعية تتكون من مجموعة محدودة من الأصوات (أو مجموعة محدودة من الرموز الكتابية)، مع ذلك فإنها تنتج أو تولد جملًا لا نهاية لها. فالتوليدية إذن نسبة إلى توليد الجمل أو إنتاجها بكم كبير وبشكل غير متناهٍ، مع التنويه إلى أنها مرتبطة في أساسها بالجانب العقلي لإنتاج الجمل أو ما يسمى بالبنية العميقة للغة. أما القواعد التحويلية : فهي القواعد التي تحول البنية العميقة للغة إلى البنية السطحية بوساطة عناصر التحويل المختلفة : كالحذف، والزيادة، وتغيير الترتيب. بمعنى أنها تنتقل من المرحلة العقلية إلى المرحلة الملموسة كتابيًا أو نطقًيا.

[6]- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، د.ط، بيروت، لبنان، د.ت، مادة: ع ر ف.

[7]- الأصفهاني، الراغب: مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم، ط5، دمشق، 2011، ص 560.

[8]- الزناد، الأزهر: نظريات لسانية عرفنية، دار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت، لبنان، 2010م، ص15.

[9]- عبد الرحمن محمد طعمة وآخرون: دراسات في اللسانيات العرفانية الذهن واللغة والواقع، تحرير: صابر الحباشة، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ط1، الرياض، 2019م.

[10]- ينظر: المرجع نفسه، ص7.

[11]- ينظر: المرجع نفسه، ص8/7.

[12]- ينظر: المرجع نفسه، ص13-55.

[13]- ينظر: المرجع نفسه، ص57-92.

[14]- ينظر: المرجع نفسه، ص93-118.

[15]- ينظر: المرجع نفسه، ص119-144.

[16]- ينظر: المرجع نفسه، ص145-173.

[17]- ينظر: جاكندوف، راي: علم الدلالة والعرفانية، ص15.

[18]- ينظر: لايكوف، جورج وجونسون، مارك: الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، 1996م.

[19]- المرجع نفسه، ص 56.

[20]- سليم، عبد الإله: بنيات المشابهة في اللغة العربية، مقاربة معرفية، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2001م، ص 7.

[21]- عبد الجليل يوسف، حسني: علم البيان بين القدماء والمحدثين، دراسة نظرية وتطبيقية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، مصر، 2007م، ص55.

[22]- عصفور، جابر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، ط3، بيروت، لبنان، 1992م.ص 226-227.

[23]- المرجع نفسه، ص227.

[24]- ينظر: لحويدق، عبد العزيز: نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية من أرسطو إلى لايكوف ومارك جونسون، كنوز المعرفة، ط1، عمان، 2015م.ص5.

[25]- ينظر: لايكوف، جورج وجونسن، مارك: الاستعارات التي نحيا بها، ص 21.

[26]- ينظر: العاقد، أحمد: المعرفة والتواصل، عن آليات النسق الاستعاري، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ط1، 2006م، ص 95.

[27]- ينظر: المرجع نفسه، ص 101.

[28]- ينظر: المرجع نفسه، ص 103.

[29]- يوسف، عبد الفتاح أحمد: لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، فلسفة المعنى بين نظام الخطاب وشروط الثقافة، منشورات الاختلاف، ط1 الجزائر العاصمة، الجزائر، 2010م، ص 179 - 180.

[30]- الحنصالي، سعيد: الاستعارات والشعر العربي الحديث، دار توبقال، ط1، 2005م، ص 149.

[31]- ينظر: أوريكيوني، كاترين كيربرات: المضمر، ترجمة: ريتا خاطر، مراجعة: جوزيف شريم، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، لبنان، ديسمبر 2008م، ص171.